فوضوية الخطاب الديني المعاصر

أ.م.د. محمود شاكر عبود
الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف

مقدمة:

تقوضت في نهاية القرن العشرين الميلادي قوى المعسكر الاشتراكي بأسرع مما تشكَّلت، وارتدَّت التيارات القومية– وبخاصة في المنطقة العربية– على أعقابها، وباتت شعاراتها عقيمة دون جدوى بعد أن تكشَّف زيف دعاتها. وساعدت ظروف الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٨م، وما رافقها من أحداث وتطلعات، و فوز التيارات الإسلامية أو تلك الداعية إلى الإسلام هنا وهناك، (كما في المغرب العربي وتركيا)، كلُّ هذا أدى بالقوى الغربية، أو من سار بركاب فلسفاتها من السياسيين، من التخوف من قوى جديدة شرقية باستعادة الهيمنة الإسلامية على عالم القرن الحادي والعشرين الميلادي، إذا ما آمن بعضهم بإعادة دورات التاريخ البشري، وانحطاط الحضارات القائمة وقيام حضارات أخرى. وساعدت معالم الحداثة والعولمة والتوسع في مجالات الاتصالات السريعة والمتعددة، التي جعلت من الأمصار مصرا واحدا، ومجالات الاتصال هذه اصبحت في متناول أيدي الجميع ورخيصة الثمن، ومفتوحة الآفاق والأوقات، وبعيدةً كلَّ البعد عن عيون الرقابة، الذي يؤدي إلى تقارب الأفكار وتلاقح الرؤى، أو الاطلاع على مايدور في المجتمعات الإسلامية أو في أفكار الأمة. كلُّ هذا جعل العالم الاسلامي يشهد تحولاتٍ فكريةً كبيرةً من أجل صحوة كبيرة للشعوب الإسلامية.

وبالمقابل لابد من ردود افعال من السياسات والحكومات المتسلطة والمستبدة، واجهزتها المخابراتية الدقيقة ودراساتها الاستراتيجية ان تعد العدة للحفاظ على كيانها .بالقمع والقوة والعنف تارة ، او بدعوات تتساير مع متطلبات هذه الصحوة ومنطلقة من اتجاهاتها، من اجل تشويه مساراتها عند العامة.

وقد تعددت اتجاهات هذه الصحوة ، فمنها اقتصادي ، وآخر اجتماعي وثالث سياسي وآخر ثقافي ، ولعل ابرز هذه الاتجاهات واوسعها واكثرها خطراً ، الاتجاه الديني.

ساعد هذا الاتجاه الخطاب الديني بتعدد ادواته الذي يدعو الى السيطرة على زمام السلطات السياسية الذي اعتبرته بعض اتجاهات الخطاب الديني امرا حتميا ليتحول الى واقع معاش دون التثبت من صلاحية طرق التطبيق للواقع او تقبلها من قبل الامة.

دون وعي وتخطيط لما يحدث من مواجهات صدامية بين الداعين الى هذا وبين السلطات السياسية وما تمتلكه من ادوات قمع واجهزة مخابراتية تفوق قدرات اولئك الدعاة.

وهذا التباين بين دعوات الصحوة وبين السلطات الرافضة لها ؛ أدى إلى اتجاهين اثنين :

الأول : توجه أصحاب تلك الدعوات إلى الاستعداد لمواجهة السلطات القائمة، ومجابهة القمع بالقمع، والعنف بالعنف.

الثاني : استعداد السلطات القائمة وتوجيه كافة قدراتها لتلك الدعوات، ولعل افضلها سبيلا ، واجداها نفعا، تأسيس الأحزاب والمنظمات والمؤسسات التي ظاهرها يوافق تلك الدعوات بأهدافهم ويخالفهم الوسائل، وباطنها منظمات حكومية سلطوبة ، مدعومة دعما مباشرا أو غير مباشر من حكومات تلك الدول ٠

أضف إلى ذلك أن كل تلك الكيانات السياسية تحاول إبعاد الشبهات عنها، أو إبعاد المواجهات المسلحة عن بلدانها ، كي تثبت صحة سياساتها بالإستقرار السياسي ٠ فتحاول جاهدة تصدير تلك المنظمات والأحزاب إلى دول أخرى ، تحت

غطاء إسلامي كالجهاد ، وتدعمها بالمال والسلاح والرجال والمعلومات الإستخبارية وباسم الدين أيضا.

فتتنازع الفصائل التي تدّعي ان دعواتها دينية فيما بينها، ومن البديهي ان التنازع سيؤدي إلى التناحر والقتال، وهي بدورها تسلّح وتمول كلا المتنازعين، كي يدوم النزاع بينهما. ويتفاقم الأمرحتى تصل الأمة إلى الأحقاد والنفور من الدين ذاته ؛ لا من أولئك الدعاة ، دون التفريق بين الدين وبين المنتمين إليه، أو اولئك الذين نصّبوا أنفسهم حماة أو دعاة له أو وكلاء عن الله لتطبيقه ٠

وكما حدثنا تأريخ أوربا في العصور الوسطى من مواقف الكنيسة ودور رجال الإصلاح منها ، ومصيرهم الذي لاقوه من ذلك ، والنتائج التي جنتها أوربا والدين المسيحي ٠ بل وتعدت الدعوات لتشمل الأديان كلها فانتجت الدعوات المادية والوجودية وما تفرع منها ، بل وفي الأصح أعادتها للوجود إذ هي لم تكن دعوات جديدة على مسرح الفكر الإنساني. وعُدَّ ذلك بداية لعصر النهضة هناك ، وقد ساعد ذلك – (في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر)– التغيرات الثقافية والمعالم الحضارية التي أنتجتها الاكتشافات الجغرافية والعلمية آنذاك. وحدثت هوة كبيرة بين الكنيسة والأمة وخاصة في النظام الاقتصادي ، وسيطرة الإقطاعيين على مسرح الحياة ووقوفهم ضد كل حركات التحرر والإصلاح[١]. وما حدث في المركز البابوي في ذلك العصر، التي كان أشهرها ثورة (مارتن لوثر ١٤٨٣– ١٥٤٦م) وما اعقبتها من أحداث ٠[٢]

والخشية اليوم من تكرار ذلك التأريخ الأوربي على تأريخ الإسلام اليوم ، فقد اصبحت الأزمة الحقيقية اليوم هي أزمة الإنسان المعاصر في مشكلاته وخاصة في بلاد الإسلام٠

أضف إلى هذا فقدان العقلية المدنية المتحضرة المتزنة المسيطرة في تقبّل الرأي الآخر ٠ وثمة ((نمط آخر– [مسيطر]– يتعامل مع اصحابه بهويتهم الدينية أو القومية بأقصى الغلو والتطرف والانغلاق

، كعصاب نفسي هو مصدر للتوتر والتشنج ، أو كجهازثقافي للشحن والتعبئة ، أو كخطاب فكري للنبذ والإقصاء ، أو كمتراس عقائدي لشن الحرب

على الغير ، فالهوية هي في هذه الحالة مؤسسة للإدانة أو ذاكرة موتورة أو جرح نرجسي لايلتئم ، ولذا فهي دوما مستنفرة ضد عدو داخلي أو خارجي توجه له التهمة ، ويُحمّل المسؤولية عما نلقاه من الإخفاق والتراجع أو عما نحصده من المحن والكوارث))[٣].

ومن اخطر الأسلحة ان يكون زمام المبادرة بيد تلك السلطات الدكتاتورية المستبدة لتوجيه الخطاب الديني نحو العنف وتحجر العقول والجمود على ماتبغيه من اهداف وغسل الأدمغة باستغلال المتزلفين والنفعيين ممن إرتدى زي العاملين في الدين او رجاله ، وتشير إليهم بمنحهم صفات رسمية (كرئيس هيئة علماء) أو (إمام) أو (زعيم) أو (مفتي) أو ماشابه ذلك وبدون قيود أو ضوابط تحكمها، كي ينطلي على العامة ما هم فيه، وتفتح لهم الفضائيات وأدوات الإتصال ، صارفة عليهم الأموال الطائلة على ذلك .

وبالمقابل يقبع المعتدلون والمصلحون واصحاب تلك المسميات الحقيقيون في طوامير السجون والمعتقلات أو في أروقة المساجد المنزوية .

وتحاول تلك السلطات يساعدها التجهيل المتعمد للشعوب أن توجه الخطاب الديني الوجهة التي تخدم مصالحهم ومنهجهم ، فتحول الدين احيانا إلى طقوس وعبادات فارغة من محتواها.

والأخطر من ذلك كله تحريك الطائفية والإنقسام وإثارة النعرات التي تمزق الأمة وتشتتها.

ولأجل ذلك جاءت هذه الدراسة المتواضعة.

الثقـافة الإسـلامية بين الإصـالة والاغتـراب :

يعد الخطاب الديني الإسلامي بمثابة واجهة العرض للثقافة الإسلامية ، لذا إستوجب الأمر توضيح ملامح هذه الثقافة ، والتأثيرات الخارجية عليها ، وفصل اللصيق عن الأصيل منها .

والثقافة بمجموعها تمثل الجزء الأهم في بناء الحضارات أو هدمها ، وإنطلاقا من أساسيات أو

منطلقات الثقافة فإنها تتوزع على نوعين من حيث المنشأ هما :

الأول : الثقافة الوضعية : وما تحويه من تفرعات مكانية أوزمانية ، وما يداخلها من رؤى وأفكار ٠ ومنطلقات هذه الثقافة متعددة ، كالأهواء والنوازع والإنتماءات والمكتسبات ، والفئوية من عرقية أو لغوية أودينية أو سياسية أو إجتماعية أو إقتصادية ٠ وتتداخل مع الأعراف والتقاليد والموروثات ، ووحدتي الزمان والمكان وغيرها ٠

الثاني : الثقافة الإلهية : وإذا إختزلناها ، فتتمثل بالثقافة الإسلامية بصورة خاصة ، لتداخل الثقافة الوضعية وملابساتها بالثقافتين اليهودية والمسيحية لتقادم الزمن عليهما وعدم وجود نص ثابت فيهما٠

والثقافة الإسلامية إنطلاقا من عقيدتنا بها فهي الثقافة التي أرادها الله للبشرية في شوطها الأخير، لخاتمية الرسالة الإسلامية

ومن هنا فلابد للثقافة الإسلامية أن تتماشى ومتطلبات العصر بكل حيثياته [زمانا ومكانا وشعوبا]٠

وإذا كانت الثقافة الوضعية تمتاز بالنسبية وعدم الثبوت لتبعيتها لمنطلقاتها التي تتألف منها ٠ فلهذا اعتبروها (فلسفة الإنسان) ، بما تحمله من أفكار قد تصل أحيانا إلى حد التناقض ، والذي سيؤدي بدوره إلى النزاع والتخاصم وسباق التسلح ، وتربص كل منهما بالإطاحة بالآخر٠ وبالتالي تؤدي إلى صراع الحضارات وانحطاطها.

وقيل هي (فلسفة المجتمع) ومن هنا فهي تتبع أعراف وتقاليد المجتمع صعودا ونزولا ٠ وبهذا فلا يمكن عندها ان يكون هناك مثقف متفق عليه ما دامت الأعراف والتقاليد قابلة للزوال والتغيير تبعا لظروف المجتمعات٠ فإذا كانت الثقافة الوضعية كذلك، فإن الثقافة الإلهية تكون ثابتة مادامت منطلقة من المفهوم الآلهي لها. فهي وفق المفهوم الديني لها (ثقافة الله) لأنها منطلقة من وحدة الأصل الإنساني، ووحدة النسب، ووحدة الغاية كوحدانية الله.

قال تعالى : ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))[٤]

ولذا فالثقافة الاسلامية تنطلق من أصلي التشريع الإسلامي (القرآن والسنة). القرآن بثبوت نصوصه وتغييرات قراءتها ، والسنة بتفرعاتها (القولية والفعلية والتقريرية)٠

وإذا كانت الأقوال قطعية الدلالة لاتحتاج إلى فهم يتعدى ألفاظها ، فان الأفعال والتقريرات تحتاج إلى قراءات تتعدى تلك الأفعال والتقريرات وتاريخيتها ٠ ومن هنا نستطيع ان نحافظ على إصالة الثقافة الإسلامية إذا ما أضفنا عليها (سنة المعصوم) عموما – كما هو عند الإمامية – طيلة ما يربو على قرنين ونصف من الزمن ، فإننا سنجد أسسا لهذه الثقافة ثابتة تتوافق ومتطلبات الأجيال المتعاقبة ، فيما إذا فهمنا أنها صلحت لأكثر من إثني عشر جيل ٠

فلاندعو إلى ثقافة موحدة بين فلسفات الفكر الإنساني المتعددة ، فذلك نوع من الإرهاب الثقافي ٠ ولكن ندعو إلى تحديد مفهوم ثابت للثقافة ما دامت اهدافها واحدة ، حتى وإن تعددت السبل إليها ٠ كي يفهم المتطفلون على الثقافة بكل تفرعاتها –[الدينية وغير الدينية]– موقفهم منها ٠ واعداد مناهج ثقافية لهذا المفهوم في المراحل الدراسية كافة حسب مستويات طلابها

ولم نكن قد جانبنا الصواب إن قلنا إن من اهم اسس الثقافة وأول مرتكزاتها هو (حوار الثقافات)٠ ومن اسس (الأمية الثقافية) واعظم صفاتها هو (صراع الثقافات)٠ وبين (الحوار) و (الصراع) ايضا حوار عند المثقفين ، وصراع عند المتطفلين عليها ٠

أما الاغتراب في الثقافة الإسلامية فهو على نوعين :

١– الإغتراب الداخلي : وهو الإغتراب المنطلق من داخل الثقافة الإسلامية ، إنطلاقا من دعوات الداعين إلى التوسع في مصادر الإستنباط ، ومايتفرع على تلك المصادر من أحكام وفتاوى ، أي تاريخية التشريع ٠

وهذا الإغتراب ناجم من تأثير الثقافات الوضعية على الدعاة والمفكرين ، ونتيجة تداخلها مع الأهواء والنوازع والرأي والأطماع والأعراف

والسياسات المتسلطة والتقاليد والموروثات وغيرها ٠

وما اكثر امثلتها في الثقافة الإسلامية ٠ ولربما شكل هذا الإغتراب عاملا اساسيا في صنع المذاهب والطوائف داخل الدين الواحد وخاصة في النظرية السياسية الإسلامية وما رافقها من أفكار ٠

وقد شكل هذا الإغتراب خطرا ليس باليسير على الثقافة الإسلامية تداخل مع حركة التفسير للنص القرآني ، وحركة الوضع في نصوص السنة النبوية، وإختيار النصوص منها أيضا، وفي الفقه ولربما في العقائد والفلسفات.

ساعد بشكل مباشر أو غير مباشر الخطاب الديني المنفلت من ألأطر والمنهجية العلمية الدقيقة التي كادت تخلو الثقافة الإسلامية منها في بدايات تكوينها. أضف إلى ذلك فترات الخمول والجمود التي مرت على الفكر الإسلامي في القرون المتأخرة (بعد القرن السادس الهجري) وسيطرة الثقافات المتدنية على الثقافات العالية – إن صح لنا القول – ، أو تهميش الأخيرة من قبل العامة من الناس والسلطات ٠

ومن الإغتراب الداخلي تلك التبعية الثقافية الكاملة والمذعنة لفكر يختلف عنه زمانا أيضا ٠ ومن ذلك الانشداد والتقديس للماضي وما تركه السلف تحت مسميات (الأصالة) ، فذلك نوع من الإغتراب ، كونه يعني العيش والتبعية لمجتمع لاينتمي إليه زمانا ومكانا أو اشخاص ومسميات ومفاهيم ٠

والسلف نفسه كان قد رفض هذه التبعية وعدَّها (أصناما تُعبد)، والعناد والتعصب من أدوات تلك الأصنام ولا ينتمي إلى الفكرأو الثقافة الإسلامية.

فهذا (ابو نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠هـ) يقول : ((قاتل الله التعصب ما أشنع إخساره في الميزان))[٥]

وهذا (الشوكاني ت ١٢٥٠هـ) يرى بأن ((المتعصب وإن كان بصره صحيحا ، فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق، غفلة منه وجهلا بما اوجبه

الله عليه من النظر الصحيح ، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم ، وما اقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع))[٦] ٠ ويوصي العاملين بالكتاب والسنة أن يتبرأو من التعصب والتعنت والعناد والتعسف لأن ((تورد عليهم حجج الله ، وتقيم عليهم براهينه ، فإنه ربما إنقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد في قلبه ، واما من إستحكم في قلبه هذا الداء ، فلو أوردت عليه كل حجة ، وأقمت عليه كل برهان ، لما أعارك إلا أذنا صمّاء ، وعينا عمياء))[٧]٠

وعدّ (إبن القيم الجوزية) التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية ٠ وعدها من الدعوة بدعوى الجاهلية ٠[٨]

وإذا شئنا قراءة متأنية لقصة اهل الكهف في القرآن الكريم ، فإن منها إختلاف الزمن باختلاف طرائق التفكير ، لذلك قرر اهل الكهف عدم معاصرتهم لحياة العصر الذي بعثوا فيه بعد سباتهم الطويل ٠ كونهم لايفهمون هؤلاء ، ولا اهل ذلك الجيل يفهمونهم ، فانتهت القصة القرآنية بموتهم وعدم اللقاء بينهم ٠

٢- الإغتـراب الخارجي : وهو الإغتراب الذي تطلبته حياة المسلمين في عصور تدهور الثقافة الإسلامية منذ عصر الإجترارلآراء من مضى ، إلى العصرالحاضر ٠ وبعضها صُبغت بصبغة الإصلاح أو التجديد٠ ولربما رافقت هذه الدعوات دعوات تطرف إلى جهة دون أخرى كرد فعل لها بدلا من الإنفتاح عليها وقراءتها قراءة متفحصة ، وأسلمة ما يمكن أسلمته ، ورفض غير الممكن منها ٠ فكانت على العكس من ذلك فقد خلّفت ردود أفعال باطئت الثقافة الإسلامية وزادتها إغترابا ، بدعوى العودة إلى السلف الصالح ، أو دعوات الصوفية والرهبنة.

أضف إلى ذلك ما اضافته ثقافات الإغتراب إلى الحياة من تقدم مادي وإقتصادي وسياسي وفلسفي ٠ ولذا فإن الإصالة لاتعني الإنكفاء على الماضي ٠ وهي صمام الأمان من الاغتراب الذي يسببه الإبتعاد عن مفاهيم الثقافة الإسلامية في أكثر مفاصلها ٠

ولذا فقد إنحسر الموقف من الإغتراب على اتجاهين :

الأول : الموافقة الكاملة للثقافة في جميع مفاصلها ٠

الثاني : الرفض التام للقادم الجديد ٠

ولهذا فإن ((هذا الموقف الرافض وذلك الموقف المستلب الداعي إلى اللحوق بالغرب ، كلاهما على خطأ ، وهناك أسباب عديدة لتكونهما إلا أن الوعي السلبي بما يدور حول الإنسان ، أو خمول الوعي كلاهما الأساس في هذه المعادلة، ولاشك أن الأجهزة الإعلامية بجميع مستوياتها، الحكومية والأهلية بما فيها منابر الخطابة ووسائل التثقيف العامة، هي المسؤول الأول عن تدني الوعي، بل الغريب أن الواعين من الناس ودعاة اليقظة أصبحوا

مرمى لسهام الآخرين، سواء الفريق الأول أو الثاني))[٩]٠

ولذلك شكلت التبعية الثقافية جزءا كبيرا من فوضى الخطاب الديني المعاصر ، وخاصة في كتابات اولئك الذين تشبعوا بثقافات الغرب ونهلوا من علوم جامعاتهم ٠

ولعل من أخطر أدوات الإغتراب على الثقافة الإسلامية هو ذلك التقاطع الذي أوجده البعض قسرا دون وعي أو تدبر ، بين المفاهيم أو المصطلحات دون وضع قاموس مشترك بينها ، للتقارب أو التلاقي ، حتى وإن كانت هي في الأصل متقاربة ٠

فالثقافة الإسلامية عموما لها جذور تاريخية متأصلة بالأمة مرتبطة بحاضرها وعقائدها ولا يمكن فصل الماضي عن الحاضر ، لكنها متطلعة بنفس الوقت إلى مستقبل الأمة ايضا ، باعتبارها منطلقة من نصوص مقدسة مرتبطة بها ، ومن اصول عقيدتها بقاء هذا الدين إلى نهاية الحياة على الأرض ومن هذا المنطلق أيضا يجب التدبر والتفكر – [وهما من اصول واساسيات الثقافة الإسلامية] – في فهم مديات موقف الثقافة الإسلامية من حركات التجديد لهذه المصطلحات وتلك المفاهيم٠وصحيح ((أن النصوص التأسيسية للإسلام لاتشكل أصولا لممارسة العنف أزاء الآخر ، بل ربما تشجع

النزعة العنيفة بعض النصوص المفسرة للنص التأسيسي ، كآراء بعض الفقهاء والمفسرين ورجال علم الكلام ، وفي ذلك مدعاة لإعادة النظر بموضوعية برهانية في تراثنا الفكري الذي نحدده بـ (النص التفسيري للنص الأصلي التأسيسي) ومناقشة معطياته بما يحقق فهما حضاريا مدنيا عقلانيا للأصول))[١٠] وتنطلق مفاهيم التجديد في تفسير النصوص التأسيسية هذه من عصرنة التفسير لا من الخضوع التام لتلك التفسيرات ، وهذا لايُعد خروجا على الإصالة – كما يحلو للبعض أن يراها – لأن النصوص التأسيسية شيء والآراء حول تفسيرها شيء آخر. ولعل خير مثال على ذلك موقف الإسلام من الديمقراطية .[١١]

التي تمثل إحدى أزمات الإنسان المعاصر ، وتحديات الحاضر للفكر الإسلامي . فقد صوّر البعض أن الإسلام والديمقراطية خياران متعارضان . وهذه تعني خلق هوة كبيرة بين السلطات السياسية (الدولة) وبين الأمة (الشعب) ومايرافق ذلك من نزاع وتخاصم يؤدي بالنهاية إلى التخلف الحضاري والتناحر المسلح والقمع ، ويستغل المستبدين والديكتا توريين ذلك النزاع لصالح دعواتهم ، ويكون الخاسر الأكبر هي الأمة .

فبعض من يؤمن بالديمقراطية يرى أن الإسلام هو السبب الأساس في عدم تطبيقها على الواقع ، أو هو الحاجز الأول الذي يحول دون تطبيقها .

بينما يرى إسلاميون أن الديمقراطية مشروع سياسي غربي يخالف الإسلام ويناقضه . وتطبيقها يُعد تغريبا للثقافة الإسلامية ((ولهم في هذا تنظيرات تنطلق من تفسير معين لمبدأ (الحاكمية) ولا تنتهي عند مقولات الغزو الفكري الاستعماري ، وهم لايترددون في القول أن الناس امام خيارين :

إما الإسلام وإما الديمقراطية . فيوقعون الناس في حرج ، ويعطون منافسيهم ورقة رابحة في الصراع السياسي ، في مقابل هؤلاء يوجد (ديمقراطيون) يرفضون المشروع السياسي الإسلامي ، وينعتونه بالظلامية والرجعية ،

والتخلف ، ويعتبرون صعوده نهاية الديمقراطية ٠ وهم أيضا يضعون الناس أمام خيارين : أما الإسلام أو الديمقراطية ، فيخسرون بذلك تأييد قاعدة عريضة من الناس تؤمن بالإسلام وغير مستعدة للتخلي عنه ، ويعطون ورقة رابحة هي الأخرى لإولئك الذين ينافسونهم ، وفي الحالين يكون الرابح الوحيد من هذه المنازلة تلك الأنظمة التي لاتحب الإسلام ولاتعشق الديمقراطية))[١٢]٠

ويكون الخاسر الأكبر ، الإسلاميين الذين نظّروا لمفهوم الديمقراطية وفق هذا المنحى ٠ والديمقراطيين الذين نظّروا للإسلام وفق هذا التعارض ٠ وكلا المنظّرين لاعلاقة لهم بهكذا تنظير كونهم قاصرين عن تصور المفهومين ، فأدخل السياسي نفسه في إختصاص لم يستوعبه بعد ، والديني لم يستوعب المفهوم السياسي للديمقراطية بكل أبعاده ٠وهذا من فوضوية الخطاب الديني ٠

وما هذه المعارك والنزاعات والتقاطع في العالم الإسلامي اليوم إلا من خلال هذه النظرات الضيقة المتحجرة الجامدة على المفاهيم والمصطلحات ٠ وهذا نفسه ينطبق على مفهوم الدين والعبادة أيضا وسط التيارات الدينية ٠

ولهذا يجب التورع والحذر والتثقيف على التوقف عند المفاهيم والمصطلحات ، وفهمها بعقلانية بعيدة عن التشنج والإنتماءات أو تقديس الآراء والأفكار٠ وبصورة واعية ودقيقة وحقيقية لا على نحو التوافق والمصالحة بين الإتجاهات والتي طالما تكون وقتية وظرفية ٠لأن كل من الإثنين يحمل في داخله غير الذي فرضته عليه الظروف والمصالحات٠ فيتنازع عليه لمجرد زوال تلك الظروف ٠

ولكن هل الاغتراب في الثقافة الإسلامية يشكل طريقا للسلب دائما ؟ وخطرا على الثقافة الإسلامية ؟أم أن في الاغتراب إيجابية أيضا يتقبلها الفكر الإسلامي ؟

ففي القرون الأولى للفكر الإسلامي تُرجمت كتب الإغريق والفرس واليونان والهنود إلى اللغة العربية وألقت بجران ثقافاتهم على الفكر الإسلامي فزادته إنفتاحا وأغنته مباحثا ، ودفعت عجلة التفكير في العقلية الإسلامية اشواطا لايمكن لأحد تجاهلها ٠

ووقعت معارك ثقافية بين مؤيدين لذلك وبين الرافضين حتى أصبحت فيما بعد إحدى منافذ الإصالة في الفكر الإسلامي ٠ فاستُعير منها ما يلائم ويتوائم مع قواعد العقيدة الإسلامية ويدافع عنها ويجيب عن إشكاليات الأجيال فأدى إلى نهوض الفكر الإسلامي ٠

ومنها ما كان مرفوضا ، ولكنه هو الآخرقد أعطى للفكروالثقافة الإسلاميين نهوضا ٠ وذلك بتحريك العقل المسلم للبحث عن براهين ودلائل لرفض المرفوض إسلاميا ، ومناقشة دلائله ونقد حججه ، ببراهين عقلية أعطت للفكر الإسلامي دفعا وفتحت أمامه آفاق البحث والإستقراء والإستنتاج والتحقيق والإستدلال ، وهذا هو ديدن الفكر العملاق الذي يساير الزمن ولايتوقف عند حد ٠

ومن هنا فليس كل الإغتراب الثقافي سلبا حتى في فلسفة السلف الصالح ٠ وإنما في الكثير منه تلاقحا ثقافيا حضاريا لابد من معايشته ٠ لذا فنحن أحوج مانكون اليوم إلى تبني مناهج علمية دقيقة في أسلمة المعرفة وإعطاء الموضوع أهمية كبيرة بدءا من مقاعد الدراسة الإبتدائية إلى أعلى المستويات العلمية إذا شئنا النهوض بواقع أمتنا من الضياع ٠

ولكن يتطلب الموقف من الإغتراب الثقافي ((التأني في إتخاذ أي موقف ، إيجابي أو سلبي تجاه الوافد الغريب ريثما يتم التأكد من جملة أشياء منها : نشأته ، ظروفه التي رافقت ولادته ، أهدافه ، تأثيراته الإيجابية أو السلبية على واقعه ، ومن ثم ملائمته لبيئتنا وإنسجامه مع ثقافتنا وأنماطنا الإجتماعية))[١٣]

أسس ومقومات الخطـاب الديني (الإسلامي) :

إذا شئنا لثقافتنا النهوض والدوام يجب أن نعترف ونؤمن بأن هناك ثقافات أخرى ، وهذا ما يدعونا إلى التحاور مع هذه الثقافات ، وبطريقة ثقافية هي الأخرى ، وإلا فإن ثقافتنا ستعاني من العزلة ، التي تؤدي إلى التراجع أو التوقف عن حركة التطور ، وسينعكس هذا على إيماننا بأن الدين الإسلامي فكر معرفي ، دائم إلى نهاية التاريخ.

وكما نؤمن بأن لثقافتنا إصالة وجذور ، فإن شعوب الثقافات الأخرى يؤمنون بإصالة ثقافاتهم – من وجهة نظرهم في الأقل – وكلما كان التحاور مع الثقافات الأخرى إيجابيا على نطاق المسموح به ، كلما كانت ثقافتنا أكثر جاذبية للآخر ٠ ومن هنا ينطلق الخطاب الديني ، وإذا كانت الثقافة الغربية اليوم أكثر أثرا على الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى ، فلا ننسى أن الثقافة الإسلامية تشكل أساسا مهما في تطور الثقافة الغربية هذه ، منذ دخول المسلمين الإندلس وقبل عصر النهضة ٠

فالنزعة التطورية في مسار ثقافتهم جاءت نتيجة نزعة متصلة بجوهر الثقافة الإسلامية وأن ((رسالة التطور بالمعنى المجرد ، رسالة العرب رُدّت إليهم ٠ غير أن تاريخية الحضارة العربية الإسلامية تنتمي إلى نسق التطور المتوازن ٠ من هنا إختلفت فلسفة الإنسان في الثقافة العربية الإسلامية عن نظيرتها في الغرب ٠ فالإنسان في فلسفة الأنوار هو طغيان الأنا ، ونمط الكينونة متحرر من كافة القيود الروحية اللامادية ، بينما هو في منظومة القيم العربية الإسلامية ، وجود متكامل بين حركة الروح والجسد ٠ بين التطور المادي والقيم الروحية ٠ إن قضية الروح ليست قضية بسيطة ، إنما جوهر مشكلة العالم ، وهي بالأساس مأزق الحضارة الغربية ، والواقع أن العالم هو بحاجة للحفاظ على مكتسبات الحضارة الغربية ٠

وحركة الإسلام في حقيقتها ، حركة من أجل خلق التوازن بين الروح والتقنية ، بين الدين والعلم ، بين الغرب والشرق ، فهي بهذا الإعتبار ثقافة المستقبل))[١٤] ٠ فالفكر قضبة معقدة لايمكن ان ينحصر بمكان ، ولايمكن ان يتوقف عند زمان ، ولا يحدده رأي أو تحتكره طائفة دون أخرى٠

مادام الإنسان في تبدل وتغيير ٠ وهذه من أسس ومقومات الفكر٠ فالحقيقة فيه تابعة لتقلباته ، وتحورها دهاليزه لذلك فهي ليست أحادية ((بل هي هذا الشئ الذي لايكف عن التعدد والتنوع والاختلاف عن نفسه باختلاف الصور والنماذج أو الانماط والمناهج ٠ أو اللغات والاستعارات أو المعالجات والقراءات أو التوظيفات والإستثمارات أو الخطط والإستراتيجيات ، ولهذا ليست الحقيقة سوى الإعتراف بحق الآخر ، أنها

إقرار متيادل بالحقوق ، مادام ليس بإمكان الواحد ان يعمم رأيه على الكل))[١٥] ٠ والفكرمجموعة من العلوم بعضها أصيل ينطلق منها ، لتشكل له الأساس لبناة أفكاره ، وبعضها الآخر مساعدة يعتمدها المفكر في دلائله وبراهينه ، لتشكل في مجموعها منظومة الفكر ، وهذه المنظومة بذاتها تختلف من مفكر لآخر ، إذ هي الأخرى نتاج بشري تتبع مديات الظروف والملابسات التي تحيط بذلك الجيل ((فالأصل في الفكر أن يكون حوارا بين (لا) و(نعم) وما يتوسطهما من ظلال وأطياف ، فلا الرفض المطلق الأعمى يُعد فكرا ، ولا القبول المطلق الأعمى يُعد فكرا ، ففي الأول عناد الأطفال ، وفي الثاني طاعة العبيد))[١٦] وإن ((من يتصور أنه أحاط بجميع الحقائق ويجب على الجميع أن يفكروا مثل تفكيره ويعتقدوا بما يعتقد به ، ولاينبغي لأحد أن يوجه إليه وإلى معارفه تساؤلات وإشكالات من موقع النقد ، فهو غارق في بحر الوهم وربما الأنانية والسذاجة))[١٧] ٠ اضف إلى ذلك أن المتلقي لتلك المنظومة هو الآخر تتناوشه إنتماءات وأهواء وقدرات تختلف بين واحد وآخر ، لتجعل كل منهما يقرأ قراءة تتباين مع قراءة الآخر ، وبهذا تتعدد القراءات بتعدد القراء حتى وإن إنتمى هؤلاء إلى مدرسة فكرية واحدة ، بل أن المتلقي نفسه ربما يقرأ اليوم ، فيكون له رأي يتناقض غدا ، فكيف بتعدد الأجيال وتعاقب الأزمان ٠ ثم أن الثقافة التي يحملها أشخاص الجيل الواحد هي الأخرى متباينة ، والفكر الديني أوسع تلك الأفكار عموما ، لحاجة كل الأجيال إليه ، لذا تتعدد الإعتقادات ويتعايش حاملوها ، وتتداخل مؤثراتها فيما بينها عن قصد أو غير قصد ٠ وهذا أمر لايختلف عليه إثنان ، والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة ، ولعل من أبدع الدلائل على ذلك في الفكر الإسلامي ، القرآن الكريم ، الذي إتفق ويتفق المسلمون جميعا على حجيته وتقديسه ولذلك ((فإنه مما لاجدال فيه أن قراءة القرآن قد إختلفت وتعددت حسب المدارس الكلامية والمذاهب الفقهية ، وبحسب الفروع العلمية والإختصاصات الفكرية ، بل بحسب أشخاص العلماء أنفسهم ، ولو كانوا على مذهب واحد ، أو ينتمون إلى المدرسة الفكرية نفسها ، من هنا تولّد عن قراءته أكثر من نسق فكري ، وأكثر من مقالة

كلامية ، ونشأ حوله أكثر من تفسير وتأويل))[١٨] وتتعاقب الأجيال على قراءات له تنطلق من التطور الحاصل للعلوم صعودا أو نزولا ، لذلك تعددت التفاسير منذ نزوله إلى يومنا هذا ، فقراءة تقتصر على الظاهر وترفض المعاني الأخرى ، وقراءة ترفض الظاهر وتدعو إلى الغوص في أعماق معانيه الباطنية غير الظاهرة ، وكلا القراءتين متطرفتين في نظر البعض الثالث ٠ وبين كل هذه يتدلى النص القرآني ٠ ويختلف الخطاب الديني عن غيره في الأهداف ، لذلك تختلف النتائج تبعا لأهداف الخطاب ٠ فقد يُعطى الحق للسياسي أو الإقتصادي أو الأديب أن يتبدل خطابه تبعا لأهدافه ٠ فالسياسي عندما يكون خارج السلطة ويسعى إليها ، فسيكون خطابه تودادا للشعب ، محببا إليهم ٠ بينما حين يكون على السلطة فسيكون خطابه سلطويا يحوي التهديد في بعض حالاته ٠ وكذا الإقتصادي والأديب ٠

أما الخطاب الديني فالهدف فيه واحد وهو الحفاظ على الأمة (حياتهم ، أموالهم ، أعراضهم ، عقائدهم) بما يضمن لهم السعادة والبقاء ٠ لينال رضا الله ٠أما إذا اتبع أهداف أخرى دنيوية كالسلطة أو الجاه والأموال فيتوجب عليه الخروج من دائرة الدين والخطاب الديني إلى الدائرة التي تحويه. فالأهداف إذن من موارد الفكر وأساسياته ومقوماته ، والأخطاء في الفكر الديني تنشأ من الموارد لا من الفكر ذاته ((وإذا كان الناس مسلطين على أنفسهم – [كما هو مبدأ الإسلام في ذلك] – فإن من يرى نفسه مالكا للحقيقة ، أو لجزء منها ، لايملك الحق في فرضها على الآخرين ، والتسلط عليهم من دون إرادتهم ، كما لايملك حق منعهم من البحث عنها ، أو التعبير عنها بطريقتهم الخاصة))[١٩] ٠

والخطاب ثقافة ، والثقافة وعي ، والوعي يعني ((إدراك الواقع وفقه ملابساته وتشخيص أخطائه ، بعد تفكيك مكوناته ومحاكمة أنساقه ، والشخص الواعي مرهف الحس ، شديد الحساسية أزاء التزوير والمغالطات ، فلا يتكيف مع الواقع المزّور ، بل يعيش حالة من الغليان والثورة الداخلية ضد القيم المصطنعة ، ويتطلّع باستمرار إلى التجديد والإصلاح))[٢٠] ٠ولهذا فالخطاب الإسلامي يجب أن ينطلق من وعي الثقافة ،

وثقافة الوعي ، فلا ينزوي بين دهاليز الطائفية أو الفئوية ، ولا يخضع للأهواء والإنتماءآت ٠ ولا يخرج عن إطار المنهجية العلمية المحايدة والمتزنة والموضوعية ، الواضحة الأهداف ، والسليمة النوايا ، وإلا يخرج من نطاقه الديني إلى آخر غيره ٠

فوضوية الخطاب الديني المعاصر(الأسباب والنتائج) : مع تقدم الإنسان في الحضارة المادية ، وتوسع مداركه ومديات ثقافته ، إلّا أن الخطاب الديني الإسلامي المعاصر أقل تلك الخطابات تثقيفا ، بل أكثرها وبالا على الإنسانية ٠ حيث يدفع المسلمون اليوم أثمانا باهضة ، من خوض الحروب والويلات والعداوات ٠ والأمر ينحسر في إتجاهين لا أكثر:

الأول : أن تكون تلك الويلات والعداوات من أهداف الدين ٠ وهذا أمر لايتفوه به ذو لب ، وقد اتفق على رفضه جميع المنتمين إليه ، في العقل والنقل ، وليس من اسسه ذلك وهو الذي ينادي بالإعتصام بحبل الله لأنه وضع إلهي عدّه سبيلا للإصلاح والرشاد ودعوة للحب والخير والأمن والسلام ٠

قال تعالى : ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (*) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (*) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (*)))[٢١] ٠

الثاني : إن الخطاب الديني – بكافة مفاصله – الموجّه للأمة لاعلاقة له بالدين الإسلامي وخارج عن دائرته جملة وتفصيلا ٠ مما أصبح السبب الرئيسي لما يجري في الأمة٠ وهذا الأوفق والأصوب في ذلك ، فقد ((أُحيط الخطاب الإسلامي بظروف من الرعب والتحفظ والتسرب عبر قنوات سرية ، أو الإعلان عن نفسه من خلال فكر مسموح به ، الأمر الذي إضطره إلى فقدان التركيز والوضوح ، ولذلك أصيبت بعض

مفاصله بالتشويه الذاتي نتيجة لهذه الظروف والتشويه الخارجي بوصفها وسيلة للعلاقة الصراعية بينه وبين الدولة القطرية المشكلة))[٢٢]. ولهذا اسبابه أيضا ، فإن عدم وجود الضابط لمن يؤدي أحد مفاصل الخطاب الديني ، أدى إلى فوضوية الخطاب وأعطى لهذه الفوضوية شرعية لدى المتلقي أيضا ، فأصبحت عنده عتمة قاتمة لايستطيع التمييز بين السليم والسقيم ، وفتح الباب أمام الأمية الثقافية أن تدخل بكل ثقلها في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر . فالمخاطِب (بكسر الطاء) هو بذاته يحتاج إلى خطاب توجيهي وإعداد مسبق ، والمخاطَب (بفتح الطاء) يتلقى دون وعي ، لأن العالم الإسلامي قد تأثر ((ولو بنسب متفاوتة بالحدث التاريخي المتمثل بالإجتياح أو الإنزال الإستعماري ، وما أعقبه من تمظهرات للخطاب والفكر الغربي في المصادر الإسلامية ، الأمر الذي أحدث إرباكا ورجة في بنية الفكر الإسلامي وفلسفته التقليدية ، وخلق أمامه جملة من التحديات الفلسفية ، والعلمية ، والأخلاقية))[٢٣] و الإجتياح والإنزال والتمظهرات هذه كانت حصيلة عمل مؤسسات وضعت لها مناهج ورؤى ، ورسمت لها أهداف ، ولايمكن الوقوف بوجهها إلا بعمل مؤسساتي أكبروبمناهج علمية أدق ، ولاتكون هذه المؤسسات هي الأخرى لاتمتلك معالم الخطاب الإسلامي وتفتقد مقوماته أو تعي المفاهيم الإسلامية ومتطلباتها المرحلية ، وإلا أصبح الأمر كارثيا أكثر من غيره .[٢٤] وعدم الإستخفاف بجهود الآخرين أو المهاترة والتنطع والجدال ، وإنما لأجل العلم ليس إلا . ويجب أن يحدد من له الحق باطلاق الفتاوى والخطاب الإسلامي ، فليس كل من تزيا بزي رجال الدين أعطى لنفسه الحق في ذلك ، ويجب التفريق بين الفقه والفقهاء وبين الخطاب الإسلامي ، فالأخير أكثر أثرا من الفقيه ذاته . والمطلوب من الفقيه الجامع للشرائط إعداد جيل يشير إليه بهذه المهمة ويمنحه الحق ، على أن يؤخذ بنظر الإعتبار بان الإنسان متعدد الإنتماءات ، مرة إلى الدين ، وأخرى إلى اللغة ، وثالثة إلى قومه أو عشيرته ، ورابعة إلى عمله ، وغيرها ، وبهذا يكون للإنسان هويات متعددة . فإذا كان إختلاف الإنتماءات يؤدي إلى الصدام والصراع ، فلن تكون هناك حياة ولاسلام ولا أمان .

والسؤال المطروح هنا : إذا كان الإنسان بديهيا متعدد الإنتماءات ، ومختلف الإتجاهات ، فلماذا الصراع في الإنتماء الديني أكثر وأخطر من غيره حتى اصبح من سمة العصر ؟!! وهذا ينطلق من الفهم القاصر للدين ٠ ومن فوضوية الخطاب الموجه للأمة من هذا أو ذاك. فبدلا من ان يكون للمسلمين إنتماءا واحدا هو الإسلام ، تنصهر فيه باقي الإنتماءات العرقية والطائفية أو الحدود السياسية أو غيرها ، كي يصح إطلاق اسم المسلمين عليهم ٠ أصبح المسلمون أبعد ما يكون عن هذا الإنتماء ، تحركهم إتجاهات خارجية أحيانا ، أو كيانات سياسية ليس من مصلحتها وحدة المسلمين – وهذا ديدن الأعم الأغلب من السياسات – ٠ أو إتجاهات داخلية نتيجة الفهم الخاطيء للدين أو الجهل التام بمفهومه العام ومتطلبات الموقف الإسلامي من إشكاليات المرحلة ٠ وهذا ديدن الخطاب الإسلامي المعاصر في أكثر توجهاته ٠ نتيجة الفوضى وعدم التقييد أو التقنين لذلك وبصرامة ٠

فضاعت الهوية الإسلامية بين هويات فرعية أقل منها أثرا وأهمية ، وأصبحت هوية المسلمين التناحر ، او على الأقل تعددت هوياتهم ٠

حتى أصبح الإسلام نظرية غير قابلة للتطبيق بل ومن الإستحالة تطبيقها على الواقع المعاصر ، لتعدد الآراء وتباين الأفكار وعدم وضوح الرؤيا الحقيقية للإسلام ، بل وأصبح الخوف منه ومن دعاته أكثر من الرغبة فيه ، وأصبح تطبيقه أمنية تراود مخيلة الأمة ولكن بحذر شديد ٠

فعالم التطبيق لعموم الأديان في عالم اليوم نتيجة الفوضى في الخطاب الديني يكون ((متعصبا وعدوانيا بدرجة قاسية ومعقدة ٠ يتغذى منهجيا بالخلط بين ان يكون للإنسان دين وتجاهل الحاجة للعقل – وإلى حرية الفكر – في اتخاذ قرارات حول المسائل التي لاتقف العقيدة الدينية حائلا دونها ٠ وعملية التسييس الخاطئة من الأساس يمكن رؤيتها بدرجات مختلفة في العالم المتزايد الأستقطاب ، ويمكن أن تتنوع من المساهمة المباشرة بالتجنيد أو تشجيع التسامح مع العنف باسم الدين))[٢٥] ٠حتى تسرب هذا إلى

الثابت من التشريع الإسلامي ، واصبح الفقه الإسلامي بالكثير من فتاويه يتبع ذلك ٠ فالفتاوى التكفيرية وتهمة الإشراك لمجرد المخالفة ، ونكاح الجهاد ، وما إلى ذلك من بدع العصر ، أصبحت هي السائدة وحديث العامة ، وأصبحت الآراء المتباينة والتقاطع هي الأولى ، والأهم في الخطاب الإسلامي المعاصر، ساعده التوسع في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ٠ في حين إنزوت الالاف من أوجه الإلتقاء والإتفاق ٠وبات دعاة الوحدة والتصحيح والإصلاح معارضين وآرائهم هامشية وكأن الإصالة المنطقية للأختلاف والتفرقة والتشتت والتناحرلا للإعتصام !!

ولعل ((الإشكالية الكبرى في الفكر الإسلامي المعاصر ، تعدد نوعية الخطاب والمتعارض أحيانا ، فبعضه يعارض أنظمة الفكر الغربي ويصفه بالكفر حتى في إستعمال مفاهيمه ومصطلحاته ، وبعضه الآخر ينبهر بوسائل وأنظمة وتقنيات الغرب ويحاول اللحاق بحضارتهم حتى وإن خالفت أصول دينه ، والأخير يتجه نحو السلبية والخوف والتردد))[٢٦] واذا اقتنعنا بان هناك ثمة حاجة الى اعادة التفكير بتقبل التعددية الدينية او المذهبية ، او ثمة حاجة الى العيش بسلام وامان يجب – قبل كل شيء– تفادي الفوضى المفهومية لمصطلح الدين أو الإسلام ٠ والتي أدت – هذه الفوضى– إلى تعدد المفهوم ذاته ، بحيث أصبح من الصعوبة تحديد المفهوم الإصطلاحي له إلا وفق الواقع المعاش ، أي وفق التقاطع ، وهذا مخالف تماما لكون مفهوم الإسلام يتبع فلسفة الله للكون وليس فلسفة الفرد له ٠ وفلسفة الله للدين هو ثقافة الجماعة لاثقافة الفرد – إن صح ان تكون هناك ثقافة للفرد – حيث اننا نرى ان ثقافة الفرد لايمكن ان نطلق عليها مصطلح الثقافة ، كونها جوفاء لاتنتمي إلا إلى صاحبها ، ولاتخدم إلا مصالحه ، ولاتتبع إلا أهوائه ونوازعه ٠ ولنضع في مخيلتنا ((ان إعلان شرعية الإختلاف والتعددية الفكرية والسياسية والإعتراف بالآخر إنما يراد به إحلال الأمن والسلام الأهلي في المجتمعات والإبتعاد عن الإحتراب الداخلي ٠ وجعله منطلقا لإثراء مسيرة هذه المجتمعات وإغناء مسيرتها عبر التلاقح والتكامل بين الآراء والأفكار والمواقف والتنافس السلمي بين المجتمعات والتيارات المختلفة ٠ ان التنازع المذموم في القرآن الكريم

هو الذي يحول التعددية – تلك الظاهرة الإنسانية الأصيلة – إلى سبب لإضعاف المجتمع ، وهدر طاقاته ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[٢٧] ولا يتحقق هذا إلا بإتباع المنهج القرآني بالتعامل مع الآخر))[٢٨] ٠

والتطفل على الفكر الديني من قبل المتفيقهين أكبر آثار الفوضوية وأشدها خطرا على الدين والفكر الديني ، لذا وجب الفصل في التخصصات العلمية بمنهجية دقيقة بدلا من الفوضى العلمية – إن جاز لي التعبير – كالفقيه ، أو المفكر ، أو المثقف ، ولاتطلق هذه الألقاب جزافا من غير ضابط ، ولايكون هناك تداخل في التخصصات ، لحاجة الفكر الديني المعاصر إلى ذلك ، فيضع الفقيه نفسه مكان المفكر ، ويفتي المفكر ويناقش أدلة الإستنباط دون التثبت من مداليلها وحيثيات أهليتها ، بينما يشرق المثقف ويغرب بين ذلك كله ٠ وحتى في الدراسات الحوزوية فإن حركة التطور في الفكر المعاصر تحتم عليها ان يكون هناك تخصص دقيق في العلوم المساعدة للفقيه ، في ما وراء حركة الإستنباط والإستدلال المستندة إلى القرآن والسنة وأصول الفقه وما يرافقها ٠ فالأمر يحتاج إلى التخصص الدقيق في التاريخ ، ومنه دراسة السيرة النبوية وسيرة المعصوم وفق المنهج الفقهي العلمي لاوفق المنهج التاريخي ٠ للعلاقة الوثيقة بين سيرة المعصوم وحركة الإستنباط في الأحكام والمواضيع ، وباقي احداث التاريخ الإسلامي ، كي تدرس دراسة وافية مستفيضة ودقيقة تستند إلى موضوعية منهجية علمية دقيقة ٠ ودراسة أخرى للأدب وثالثة للفنون ، وللسياسة ، والإقتصاد والإجتماع والقانون بكل تفرعاتها ٠ لأن التخصص الدقيق أكثر معرفة من التخصص العام أو العلاقة الهامشية لتلك العلوم وأدق نتائجا منها ، لتماشى الجميع مع حركة التطور الثقافي الملحّة في هذا العصر ، وإلا يكون التطفل من غير المتخصصين أقرب للأمية الثقافية منه إلى الثقافة الحقيقية فيصبح وبالا على الفكر والثقافة والدين والمجتمع ٠ ونحن نؤمن بأن التراث العلمي الإسلامي يمثل إصالة الفكر الإسلامي ، وكل فكر بغير أصالة يكون

فكرا أجوفا ، ونؤمن أيضا ان التراث الإسلامي يمثل أساس الحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر ، ومنطلق تطورها ونهوضها في المستقبل ، ولهذا فنحن لا ندعو إلى الفصل بين التراث والحاضر ، ولكن ((التعامل الهامشي لمعظم المثقفين الإسلاميين مع هذا التراث ظهرت نتائجه في خطابهم الذي يشكل جزءا اساسيا من الخطاب الإسلامي الحديث ، وظهرت نتائجه أيضا في فكرهم الحركي ، وأخيرا في الواقع الإسلامي المعاصر عموما مسببا في إنحراف بعضهم فكرا وسلوكا ، وبروز القلق العقيدي والفكري لدى الآخرين ، أو إلغاء الكثير منهم من قبل أصحاب الإختصاص))[٢٩]. وإذا كان لابد من الإصلاح والتنبيه لما سيحدث نتيجة القوضى العارمة بالخطاب الإسلامي المعاصر و وما حدث ويحدث الآن فمن هنا ((لابد من تسويق شكل جديد من الخطاب الإيديولوجي ، يتسم يمواكبة تطورات الواقع وتبدلات الفكر والمجتمع ، خطاب غير آبه بتناقضاته ، أو خجل من تخليه عن بياناته السابقة ، فهو قائم على أساس التعددية في القراءة بلا حدود ، وإمكانية التأويل الفلسفي المستمر للوقائع ، فلا معاني ثابتة ، ولامدلولات محددة ، بل يجري التفكيك وإعادة التشكيل في كل مرة من أجل المحافظة على الديمومة والإستمرارية في البقاء ، ولو تحت عناوين وأغطية جديدة))[٣٠] .

والإبتعاد عن الخطاب الإستفزازي بكل أشكاله ولكل الميادين ، كي لانخلق ردود أفعال تنعش حركة التكفير والتقاطع ، أو نفتح الباب أمام المتطفلين ليدلوا بدلوهم إستغلالا لذلك الإستفزاز ، ونوافق القول بأننا ((لانرى أن مكونات العقل المعرفي (الإسلامي) وراء إستعمال العنف ، بقدر ما نرى ان تخلف العالم الإسلامي ومستويات الفقر المتسعة ونقص الوسائل التي تشيع المعرفة الصالحة للبناء ، ربما هي السبب الرئيس إلى جانب اسباب أخرى أبرزها إختفاء النزعة النقدية))[٣١]

ومن نتائج ذلك التخلف ، هي الفوضى بمستويات الخطاب الديني الموجه للأمة الإسلامية بكل مكوناته ، وبعيدا عن الموضوعية والتجرد من الانتماءات لأن ((غياب الواقعية وطغيان خطاب التكفير والإقصاء والتهميش قطّع أوصال المجتمع العربي والإسلامي نحو الطائفية والآراء الضيقة .

فانفصمت عرى العلاقات الإجتماعية والأخوّة الدينية في ضوء هذا الخطاب الأصولي السلفي عند الشيعة والسنة ، والخطاب العقلاني هو الخطاب النابع من عقلانية القرآن الكريم ، وهو يدعوالناس إلى التفكر والتأمل والتعقل قبل العمل والإنطلاق نحو العمل ، حتى يكون العمل والأختيارات في ضوء الدعوة القرآنية الواعية لا التقليد الأعمى لخطابات إسلاموية بعيدة عن واقع القرآن ودعوته))[٣٢] أما حركات التجديد ودعوات تحديث الخطاب الإسلامي فهي الأخرى قد تعددت وسائلها واختلفت مضامينها وتباينت أهدافها ، بين متأثر بالخطاب العلماني ، وبين داعيا له ، وبين داعيا للعودة إلى الماضي وسلفيته ، وآخر مصالحا لكل تلك الإتجاهات٠

وبالنتيجة فإننا لانستطيع الوقوف على رؤية مشتركة قابلة للتطبيق مقبولة عند الأمة ٠ وهذا أمر آخر للفوضوية الثقافية للخطاب الإسلامي المعاصر[٣٣] ٠ ولعله اكثر خطرا من فوضوية الأمة بالجهل والتهميش ، وبين هذا وذاك ضاعت أجيال وأجيال ، وتبددت آمال وآمال ، والجرح لما يندمل بعد ٠

لذا يتطلب الأمر رؤية ثقافية معمقة في الجذور التي تمثل الإصالة ، وفي المعطيات التي تمثل المعاصرة ٠ ورسم أهداف متفق عليها ٠ ثم فلتتعدد السبل ، وبمنهجية علمية تنهض بعيدا عن أيدي السياسة والسياسيين ، فلقد كفى الفكر خطرا وتحويرا من إنعكاسة جدلية الدين والسياسة على الخطاب الإسلامي المعاصر ٠وإنعكاساته المتعددة على واقع الحياة والدين والفكر عموما ٠ ولأهداف علمية وليست إعلامية بمؤتمرات وندوات موسعة ومتعددة ، لاكما هو في المؤتمرات الإعلامية للجامعات الأكاديمية التي تقام هنا وهناك في كل عام ٠ ثم تركن البحوث والدراسات بين رفوف المكتبات وينتهي الأمر٠ ولعلها تستند في باديء الأمر إلى محاربة أخطر آفة إستهلكت الفكر الإسلامي عموما وباطئت حركته على مدى قرون٠ ألا وهي فقدان لغة الحوار العلمي الهادف والمتزن وتقبل الآخر دون المساس بعقائده وأفكاره ورؤاه وإتجاهاته ،

والإبتعاد عن خطاب الإقصاء ورفض الآخر ، أو النظر إلى التراث بعين واحدة ، وتوحد المفاهيم والمصطلحات وفق الرؤية القرآنية اللغوية ، كي لاتستخدم في غير معانيها ٠ وهذا هو دور الثقافة المتزنة ٠

أما الثقافة الفوضوية فهي أشد خطرا على الأمة من غيرها لأننا ((لايجوز أن نطالب الأمة بموقف لانعي دوافعه ، لأن الموقف نتاج الثقافة ، أيا كان إتجاهها ، والأمة محجوبة عن مناشيء الثقافة الواعية ، بعد ما رسّب الإستبداد في لاوعيها عدم قدرتها على إدراك مفاهيم القرآن والسنة الشريفة إلا بواسطة ، ولو بمستوى الفهم العام دون التخصص المتوقف على توافر أدواته ، فاصبحت الأمة تتلقى المعرفة من أفواه الرجال ، وليس لها الحق في تخطي ما يفهمه المفسرون من النص الديني ٠وبعض هؤلاء إما مأجورون من السلطان أو من ذوي النوازع الشخصية فيزرقون للأمة ثقافة سكونية جامدة ، تتهيب سطوة الحكام ، وتصنع منهم آلهة يُعبدون من دون الله ، أو أنهم من ذوي الثقافة الأحادية ، القاصرين عن إدراك الوجه الآخر للحقيقة ، الذين إبتلوا بتضخم الذات ، وتوهموا أن المعرفة لاتصدر إلا عنهم ، وتبقى وظيفة الأمة هي الإصغاء ، والتلقي المجردين عن النقد والمراجعة والتشكيك ، والتسليم التام لأطروحاتهم الفكرية والثقافية))[٣٤] وثمة نقطة أخرى مهمة تمحورت في أهداف الخطاب الإسلامي المعاصر ، وهو القطيعة الحاصلة بين النص والواقع ، وإنعكاس صورة أن الماضي أفضل من الحاضر ويجب العودة إلى الماضي ، وان الماضي ذهبيا ، والحضارة الإسلامية المنهدّة كانت على اسس صحيحة ومقدسة ، وغيرها غير صحيح بل ومنحرف عن الإسلام وتوجيه جميع النصوص الدينية إلى ذلك الإتجاه ، وقراءتها وفق ذلك المفهوم ، دون النظر إلى المستقبل وتصحيح منظومات القيم الأخلاقية الحاضرة وفق مفاهيم تتماشى ومتطلبات العصر الحاضر والمستقبل. ونتيجة لهذا يكون الخطاب الديني يهدف إلى عدائية مضمرة إلى الحاضر وقيمه، وإلى حركات التجديد ورؤاها ، ويغلق الباب أمام الدعاة إلى المستقبل وبناء حضارة للأجيال القادمة .

فسلطان الماضي على الحاضر هو بمثابة سيطرة يفرضها الأموات على الأحياء ، وأحياء يخافون سطوة الأموات ٠ فلطالما قبعنا نقلب صفحات الماضي ، وقد دوّن بصحف مكتوبة ، وكلما كانت الصحف أقدم زمانا ، كانت – وفق رؤانا اليوم – أدق علما ، وتلك الصحف بعضها مقدس بحكم العقيدة الدينية لاينتابه الشك أو النقد ، ونسينا أنها نتاج بشري لعصرها ، في حين كسونا بعضها حلل الجلال والهيبة والرهبة اكثر مما كساها أصحابها أنفسهم ، وأكثر مما كانت عليه من اهمية في عصرها ، ونقيّد طلبتنا على الإنكباب عليها ونمنعهم من نقدها أو رفض بعض منها ، حتى وإن كان بعضها يقدح ببعض مفردات العقيدة ، وعندنا أكثر الطلاب تميّزا أكثرهم إلتصاقا بها أو شرحا لها أو إستعمالا لصفحاتها ، أواقلهم خروجا عنها ٠ حتى أمست الكتابات حول الماضي برجاله وأعلامه وشعرائه وعلومه أكثر الآف المرات من الكتابات حول الحاضر وإشكالاته ، أو حول المستقبل وحاجاته ، وأصبحنا بحق أمة إجترارية تمضغ طعام الماضين ولاتجهد نفسها بإبتكار طعام اليوم ٠

وقراءاتنا قراءات متعصبة وإنكفائية على آراء من مضى ٠ ومن مراجعة سريعة لبعض كتب التراث ستجدها هي الأخرى في اكثر حالاتها إجترارية لما قبلها ٠

فنحن سلفييون كلنا وإن رفضنا فلسفة السلفيين ٠

وتكمن خطورة الخطاب الديني اليوم في كثرة الخطباء ، ودعوات أدعياء العلم والثقافة ، وتعدد طرق الرمزية والتقديس وأدعيائها ، وتلقف العامة ذلك بالقبول ، بل تصل أحيانا إلى الصنمية ، وعدم تقبل روح النقد أو البحث عن الدليل عما يحمله هؤلاء أو يدّعيه أولئك الذين وضعوا أنفسهم في نيابة الإدعاء العام عن الله ٠

وفي مقابل هذا غياب التعقل والتفقه وإنزواء دعاته وحامليه وإقتصارهم على (الحوقلة) و(الترجّع) والخوف من العامة ، دون التصدي ومواجهة الخطاب بالخطاب المعتدل الذي يرتكز على مقاصد الشريعة في العبادات ، والتأكيد على الفقه المقارن ، والإخـلاص التام لله دون غيره٠

قال تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))[٣٥]

وهذا أعم خطاب إسلامي قرآني للتعامل مع الآخرلا فيه لبس ولاتحريف ٠

ناهيك عما تبثه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة من إسفاف وتدني يتربع عليها متزلفون على الدين و متطفلون على الفكر ٠ مما جعل الإسلام على مفترق طرق بين اللا وعي المطبق من العامة ، والجهل المركب من الذين وضعوا أنفسهم دعاة ، فوصل إلى مانحن عليه.

وكمشروع تثقيفي تتبناه مؤسسات أُعدت لهذا الغرض كوزارة الشؤون الدينية والتربية والتعليم العالي والثقافة والمرأة والشباب والمجتمع المدني ، وإتحادات ومنتديات الأدب والعلم والفن ٠ لعقد مؤتمرات مكثفة للأجيال على قدر أعمارهم ومستوياتهم الدراسية ، ووضع مناهج علمية دقيقة لإفهامهم بلغة الحوار وتعدد الآراء وتقبّل الآخرين ، ونبذ الفرقة والطائفية والفئوية بكل أشكالها ، والتحذير من الدعوات التي تضع السموم بالعسل ، وتتخذ من الإسلام غطاءا لأهوائها وغاياتها ٠

وإختيار المحاضرين وإعدادهم بدقة متناهية ، غير المتشددين المتزمتين ، الذين يقدسون الماضي بكل ما فيه ، ولا المتغربين وفق صيغ وإنتماءات لاعلاقة لها بالإسلام ولا تؤمن بإصالته ، ولا أولئك الذين لايوثق بعلمهم الشرعي – رغم حسن نواياهم – ولايمتلكون الفهم الجيد أو العلم الصحيح للإسلام، قال تعالى ((الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ))[٣٦]

والإدراك لمبادئه وقيمه ومفاهيمه علما وعملا ٠ فالعلم بالإسلام مقرون بالعمل :

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (*) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))[٣٧].

الهوامش:

١) ينظـــر : عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : التأريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا) دار النهضة العربية : بيـــروت ، ١٩٧٤م ، (الفصل الأول :١١ ومابعدهـــا)

٢) ينظـــر : المصـــــدر نفســـه : (الفصل الخامس : ٨٧ ومـــابعدهـــا)

٣) علي حرب : أزمنة الحداثة الفائقة (الإصلاح – الإرهاب – الشراكة) : ٨٨

ط : ١ ، المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء – المغرب ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م

٤)سورة المائـــدة / ٤٨

٥) أبو نعيـــم (احمد بن عبد الله بن احمد الأصبهاني ت ٤٣٠هـ) : حلية الأوليـــاء وطبقات الأصفياء : ١١/٩

ط :٤ ، دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٠٥هـ

٦)الشـــوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ت ١٢٥٠هـ) : تفسير فتـــح القـــديـــر : ٢٤٣/ ٢ عالم الكتب / بيروت

٧) الشـــوكاني : تفسير فتـــح القـــديـــر : ٤ / ١٠٤

٨) إبـــن القيـــم الجـــــوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد : ٢ / ١٠٤

٩) ماجد الغـــرباوي : إشكـا ليـات التجـــديد : ٨٩

ط:١ ، دار الهـــادي : بيـــروت ، ١٤٢١هـ-- ٢٠٠١م

١٠)عبد الأميـــر كاظم زاهـد : قـراءات في الفكـــر الإسلامي المعاصـــر :١٣، ١٤ دار الضيـــاء ، النجف الأشرف :

١١) ينظـــر : محمد عبد الجبـار : الإسلام والـديمقـــراطية في معركة البنـاء الحضاري : ١٧٥ ومـــا بعـــدها معهـــد الـدراسات العـربية والإسلاميـــة : لنـــدن (كتب المعهـــد (٤))

١٢) محمـــد عبد الجبـــار : الإســـلام والديمقـــراطية : ١٧٦ ، ١٧٧

١٣) مـا جد الغـــرباوي : إشكاليـات التجـــديـد : ٨٩

١٤) إدريـــس هـــانـــي : تعـــدد الثقـــافـــا ت وآفاق الحـــوار الحضـــاري : ٤٥ ، ٤٦ مـركـــز دراســات فلسفـــة الـــدين : بغـــداد ، ٢٠٠٥م

١٥) علـــي حـــرب : نقـــد الحقيقـــة : ٢

ط : ٣ ، المركز الثقـافي العـــربي : الـدار البيضـــاء (المغرب) ، بيـــروت : ٢٠٠٥م

١٦) زكـــي نجيب محمـــود : نقـــد الفكـــر العـــربي : ٣٠

ط : ٢ ، دار الشـــروق ، بيـــروت ، القـــاهرة ، ١٩٧٣م

١٧) الشبـــشتري (الشيخ محمـــد مجتهـــد) : الإيمـــان والحـــريـــة : ١٢٠

ترجمة : أحمـــد القبـــانجـــي

الناشـــر : دار الفكـــر الجـــديد : النجف – العراق ٢٠٠٧م

١٨) علـــي حـــرب : نقـــد الحقيقـــــة : ٦ ، ٧

١٩) محمد عبد الجبـــار : الإســـلام والديمقـــراطية : ١٩٩

٢٠) مـــاجد الغـــرباوي : إشكـــاليـــات التجـــديد : ٣١

٢١)سـورة آل عمران : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ وغيرها الكثير
٢٢) عبد الأمير كاظم زاهد : قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر : ٢٦
٢٣) غالب الناصـر : مباني الدين التجـريبي والتعددية الدينية في فلسفة عبد الكريم سروش : ١٠١
ط : ١ ،إصدارات مركز الفكر الإسلامي المعاصر : النجف الأشرف : ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م
٢٤) عنـدها يصدق القول المنسوب إلى (رامزفيلد) وزير الحربية الأمريكي في إحدى مذكراته بأن
((المدارس الدينية في العالم الإسلامي تجنّـد المتشددين من الشباب)) (عن جريدة الحياة في ٢٥/ ١٠ / ٢٠٠٣) وهذا ما يحصل فعلا الآن
٢٥) أمارتيا صن : الهـوية والعنف الديني : ٥٢
ترجمـة : سحر توفيق
سلسلة عالم المعرفة برقم (٣٥٢) يونيو ٢٠٠٨م : الكـويت
٢٦) احمـد طـه : تردي الفكـر الإسـلامي المعاصر بين الأصولية المستبدة والعلمانية المستفزة : ٩
مكتبـة مـدبـولي : القاهـرة : ٢٠١٠م
٢٧)سورة الأنفال : ٤٦
٢٨) محمد عبـد الجبـار : الإسـلام والـديقـراطيـة : ١٨٩
٢٩) علـي المـؤمن : الإسـلام والتجـديد (رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر) : ٩٨
ط : ١ ، دار الـروضـة ، بيـروت – لبنان ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
٣٠) غالب النـاصـر : مبانـي الـدين : ٢٣
٣١) عبد الأمير كاظم زاهد : قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر :١٤
٣٢) حسن كريم ماجد الربيعي : البحث المعـرفي (جدواه ، مفاهيمه ، مناهجه ، تطبيقاته) :٨٩
مطبعـة الثقليـن : النجف الأشرف
٣٣) للتوسعة ينظـر : عبد الأمير كاظم زاهد : قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر:(الفصل الأول والثاني) من ص٤٢ إلى ١٣٤
٣٤) مـاجـد الغـرباوي : إشكـاليات التجـديـد : ١٦ ، ١٧
٣٥)سورة آل عمـران : ٦٤
٣٦)سـورة غـافر : ٣٥
٣٧)سـورة الصف : ٢ ، ٣

المصـادر والمـراجع :

القـرآن الكـريم

١- أحمـد طـه : تردي الفكـر الإسـلامي المعاصر بين الأصولية المستبدة والعلمانية المستفزة، مكتبـة مدبـولي : القاهـرة : ٢٠١٠م

٢ – إدريـس هـانـي : تعـدد الثقـافـات وآفاق الحـوار الحضـاري، مركـز دراسـات فلسفـة الـدين : بغـداد ، ٢٠٠٥م

٣ – أمارتيا صن : الهـوية والعنف الديني، ترجمـة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة برقم (٣٥٢) يونيو ٢٠٠٨م الكـويت

٤- حسن كريم ماجد الربيعي : البحث المعرفي (جدواه ، مفاهيمه ، مناهجه ، تطبيقاته)، مطبعـة الثقليـن : النجف الأشرف

٥ – زكـي نجيب محمـود : نقـد الفكـر العـربي، ط : ٢ ، دار الشـروق ، بيـروت ، القـاهرة ، ١٩٧٣م

٦- الشبـشتري (الشيخ محمـد مجتهـد) : الإيمـان والحـريـة، ترجمة : أحمـد القبـانجـي، الناشـر : دار الفكـر الجـديد : النجف – العراق ٢٠٠٧م

٧ – الشـوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ت ١٢٥٠هـ)، تفسير فتـح القـديـر، دار الكتب : بيروت

٨ – عبد الأميـر كاظم زاهد : قراءات في الفكـر الإسلامي المعاصـر، دار الضيـاء ، النجف الأشرف

٩- عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : التأريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا)، دار النهضة العربية : بيروت ، ١٩٧٤م

١٠ – علي حرب : أزمنة الحداثة الفائقة (الإصلاح – الإرهاب – الشراكة)، ط : ١ ، المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء – المغرب ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م

١١ – علي حرب : نقد الحقيقة، ط : ٣ ، المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء (المغرب) ، بيروت : ٢٠٠٥م

١٢ – علي المؤمن : الإسلام والتجديد (رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر)، ط : ١ ، دار الروضة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

١٣ – غالب الناصر : مباني الدين التجريبي والتعددية الدينية في فلسفة عبد الكريم سروش، ط : ١ ،إصدارات مركز الفكر الإسلامي المعاصر : النجف الأشرف : ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م

١٤ – ابن القيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد

١٥ – ماجد الغرباوي : إشكا ليات التجديد، ط:١ ، دار الهادي : بيروت ، ١٤٢١هـ -- ٢٠٠١م

١٦ – محمد عبد الجبار : الإسلام والديمقراطية في معركة البناء الحضاري، معهد الدراسات العربية والإسلامية : لندن (كتب المعهد (٤))

١٧ – أبو نعيم (احمد بن عبد الله بن احمد الأصبهاني ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط :٤ ، دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٠٥هـ